



The theoretical implanting of the concept of political ignorance in Islamic political thought

Asst.Lec. Mohammed Hazem Hamid*

College of Political Science - University of Mosul

Article info.

Article history:

- Received 3 Apr 2019
- Accepted 14 Apr 2019
- Available online 5 May 2019

Keywords:

- political ignorance
- Islamic thought
- political thought

Abstract: The political ignorance is an integral concept in political Islamic thought, the research shows that concept is theoretical determination among legitimate assumptions and illustrate its conceptual roots and determinate its indication features, represented by Holy Quran and Honorable Prophet Traditions (Sunnah) described by the principle sources for the political and Islamic sources, from these two divine sources, the political thinkers has derived the concept of political and an endoscopy and analysis of, the study require to divide the thesis into two demand, the first is: the concept of political ignorance in Holy Quran and Honorable Prophet Traditions (Sunnah), the second demand: the conceptualization of the concept of political ignorance

* **Corresponding Author:** Mohammed Hazem Hamid, **E-Mail:** , **Tel:** , **Affiliation:** College of Political Science - University of Mosul.

التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي

م.م. محمد حازم حامد

كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل

معلومات البحث :

تواريخ البحث:

- الاستلام : 3/نيسان/2019
- القبول : 14/نيسان/2019
- النشر المباشر : 5/5/2019

الكلمات المفتاحية :

- الجاهلية السياسية
- الفكر الإسلامي
- الفكر السياسي

الخلاصة : تعد الجاهلية السياسية مفهوما أصيلا في الفكر السياسي الإسلامي، ويظهر البحث أن لهذا المفهوم تأصيل نظري يبين منطلقاته الشرعية ويوضح جذوره الفكرية ويحدد معالمه الدلالية، متمثلا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفهما المصدران الأساسيان للفكر السياسي الإسلامي، ومن هذين المصدرين الربانيين استمد المفكرون السياسيون مفاهيمهم للجاهلية السياسية تنظيرا وتحليلا، واقتضى العمل تقسيم البحث على مطلبين، الأول: مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، المطلب الثاني: تنظير المفكرين السياسيين لمفهوم الجاهلية السياسية.

المقدمة :

تشكل المفاهيم السياسية ومدلولاتها قضية مركزية في الفكر السياسي الإسلامي؛ لأن المفاهيم السياسية في الفكر السياسي الإسلامي مقيدة بمدلولاتها في مصادره الأساسية سيما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويعد التأصيل النظري للمفاهيم السياسية من القضايا الجوهرية؛ لمعرفة الأسس الشرعية والمنطلقات الفكرية التي بُني عليها المفهوم.

ويعد مفهوم الجاهلية السياسية من المفاهيم السياسية الأصيلة في المنظومة المفاهيمية للفكر السياسي الإسلامي التي أهتم بها المفكرون السياسيون في العصر الحديث والمعاصر بخصوص مفهومها وجذورها الفكرية؛ نظرا لكثرة مظاهرها وأشكالها في العالم الإسلامي.

لذا لا بد من تناول التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي لإبانة منطلقاته الشرعية وإيضاح جذوره الفكرية وتحديد معالمه الدلالية، عبر المصادر الأساسية لهذا النوع من الفكر والمتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ثم بحث كيفية تناول المفكرين السياسيين مفهوم الجاهلية السياسية بالتنظير والتحليل في العصر الحديث والمعاصر.

■ أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من تناوله التأصيل النظري أي الأصول والأسس لمفهوم مركزي من المفاهيم السياسية كتب في مدلوله المفكرون السياسيون في العصر الحديث والمعاصر ألا وهو مفهوم الجاهلية السياسية، ومعرفة منطلقه الشرعي وأساسه الفكري.

■ إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة عن سؤالين مفادهما: ماهو التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟ كيف نظر المفكرون السياسيون لهذا المفهوم في العصر الحديث والمعاصر؟.

■ فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها: إن الجاهلية السياسية مفهوم أصيل في الفكر السياسي الإسلامي له تأصيل نظري يبين منطلقاته الشرعية ويوضح جذوره الفكرية ويحدد معالمه الدلالية.

■ منهج البحث:

من أجل الإجابة على إشكالية البحث، وبناءً على فرضيته، تم الاعتماد على المنهج الوصفي في بحث التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي.

■ هيكلية البحث:

انتظم البحث في مطلبين فضلا عن مقدمة وخاتمة، المطلب الأول: مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، المطلب الثاني: تنظير المفكرين السياسيين لمفهوم الجاهلية السياسية.

المطلب الأول: مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

من أهم مزايا الفكر السياسي الإسلامي والفكر الإسلامي عامة امتلاكه مرجعية فكرية ثابتة مُجمع عليها وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعليه فإن كل تأصيل نظري لأي مفهوم سياسي في الفكر السياسي الإسلامي ينبغي أن يمر عبر هذه البوابة الشرعية، لذا سيتم تناول مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفهما المصدران الأساسيان للفكر السياسي الإسلامي، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم

ورد مصطلح الجاهلية في القرآن الكريم في أربعة مواضع من سور مدنية في كل موضع مضافة لما قبلها، وهو مصطلح قرآني خالص في الصياغة والاستخدام والدلالة⁽ⁱ⁾، ويشير (ابن عاشور) أن مصطلح الجاهلية من مبتكرات القرآن الكريم وصف به أهل الشرك تنفيراً من الجهل وترغيباً في العلم؛ ولذا يذكره القرآن الكريم في مواضع الذم⁽ⁱⁱ⁾، إذ يذكر: إن إضافة ألفاظ (الظن، الحكم، التبرج، الحمية) الى الجاهلية في آيات القرآن الكريم هو بقصد التحقير والتشنيع؛ لأنها من أخلاق الجاهلية وصفاتها وذلك ذم لها وتنفير منها⁽ⁱⁱⁱ⁾.

وقد ورد مفهوم الجاهلية في الموضع الأول بـ (ظن الجاهلية) إذ يقول الله تعالى:

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^(iv).

هذه الآية الكريمة نزلت في معركة (أحد) لما أشد القتال ضد المسلمين، ويفسر (ابن جرير الطبري) الجاهلية هنا بأنها ظن أهل الشرك بالله تعالى من الكافرين والمنافقين شكاً في أمر الله تعالى، وتكذيباً برسوله الكريم ﷺ، ذلك أنهم يحسبون أن الله تعالى خاذل نبيه الكريم ﷺ وناصر عليه أهل الكفر به^(v)، وهكذا يتضح أن (ظن الجاهلية) هو عقيدة الجاهلية أي الجاهلية العقدية (الدينية).

والموضع الثاني ورد المفهوم بـ (حكم الجاهلية) إذ يقول الله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ^(vi)، هذه الآية الكريمة نزلت في منافقي اليهود لما أحتكموا إلى الرسول الكريم ﷺ ولم يرضوا بحكمه إذ حكم بينهم بالعدل، ويفسر (ابن جرير الطبري) الجاهلية هنا بأنها أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله تعالى فيه حقيقة الحكم الذي حكم به الرسول الكريم ﷺ، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه^(vii).

ويفسر (القرطبي) حكم الجاهلية بأنه الكاهن وما أشبهه من حكام الجاهلية، ولا يقصد به حاكم بعينه فالمراد بالحكم الجنس والشيوع^(viii)، أما (ابن كثير) فيفسر حكم الجاهلية بأنه كل من حكم وخرج عن حكم الله تعالى المُحكم العادل، المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، إلى ما سواه من الضلالات والجهالات والاصطلاحات التي يضعها الناس بآرائهم وأهوائهم دون رجوع لحكم الله تعالى^(ix).

وسبب نزول الآية الكريمة، أن بني النضير كانوا أشرف من بني قريظة، فإذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قُتل به، أما إذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة يتم إعطاء دية مقدارها (6000 صاعاً) من التمر، ولما بعث الرسول الكريم ﷺ، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة فقالوا ابعثوا إلينا لنقتله، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ، وأراد بنو النضير أن يحكم الرسول ﷺ بينهم كما كانوا يتحاكمون في الجاهلية، فرفض الرسول ﷺ، وحكم بينهم أن النفس بالنفس، فلم يرض بنو النضير بحكمه^(x).

وبين (الزمخشري) أن حكم الجاهلية فيه وجهان، أحدهما: أن اليهود من بني قريظة والنضير طلبوا من الرسول الكريم ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى، وأن الرسول الكريم ﷺ قال لهم: القتلى سواء، فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك، والثاني: أن يكون تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم ييغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب سماوي ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى، وحكم الجاهلية هو عام في كل من يبغي غير حكم الله تعالى، فالحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله تعالى أي حكم شرعي، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان أي حكم جاهلي^(xi).

ويرى (محمد رشيد رضا) أن حكم الجاهلية هو حكم غير شريعة الله تعالى فحكم الله تعالى هو منتهى العدل والنزاهة والحق والعدل من الحاكم، والقبول والطاعة من المحكوم، وهذا ما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع الوضعية، أما حكم الجاهلية فجائر لا يحقق العدل للجميع ومخرب للمجتمع ومفسد للنظام، وكل من يرفض - من المسلمين - حكم الله تعالى ويدعو إلى قيام البشر بوضع الشرائع والقوانين التي تحكمهم لأنها - في اعتقادهم - خير من حكم الله تعالى فهم

فاسدون في دينهم وأخلاقهم، ويدخلون ضمن حكم الجاهلية^(xii)، وهكذا يتضح أن (حكم الجاهلية) شريعة الجاهلية أي الجاهلية السياسية، وهذا هو التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم.

وحكم الجاهلية وفقاً لـ (السعدي) هو كل حكم خالف ما أنزل الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ مهما كان هذا الحكم، ومهما كانت الجهة التي أصدرته، فلا يوجد في الدنيا إلاّ حكمان هما: حكم الله تعالى أو حكم الجاهلية، فحكم الله تعالى مبني على العلم والعدل والنور، وحكم الجاهلية مبني على الجهل والظلم والغي، وأنه يتيقن على المسلم - شرعاً وعقلاً - اتباع حكم الله تعالى وترك حكم الجاهلية، فهذا من لوازم الإيمان^(xiii).

والموضع الثالث ورد المفهوم بـ (تبرج الجاهلية) إذ يقول الله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا^(xiv).

هذه الآية الكريمة نزلت في نساء الرسول الكريم ﷺ - أمهات المؤمنين - تأمرهن بالاستقرار في البيوت وتنهاهن عن التبرج، ويفسر (الطبري) تبرج الجاهلية الأولى هنا بأنها جاهلية ما قبل الإسلام، أما سبب تسميتها بالجاهلية الأولى، وهل في الإسلام جاهلية أصلاً حتى يقال الجاهلية الأولى هي قبل الإسلام؟ فنعم قد يكون في الإسلام - المسلمين - أخلاق من أخلاق الجاهلية وصفاتها فتعد جاهلية ثانية، وما زال القرآن الكريم قد ذكر جاهلية أولى إذاً هناك جاهلية ثانية؛ لأن لكل أولى ثانية^(xv)، وهكذا يتضح أن (تبرج الجاهلية) تبرج النساء أي الجاهلية الأخلاقية.

والموضع الرابع ورد المفهوم بـ (حمية الجاهلية) إذ يقول الله تعالى: وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا^(xvi).

هذه الآية الكريمة نزلت في المشركين عندما منعوا الرسول الكريم ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم من دخول المسجد الحرام وهم محرمون لأداء عمرة ومعهم الأضاحي، ويفسر (القرطبي) حمية الجاهلية بأنها عصبية المشركين لآلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى والأنفة من أن يعبدوا غيرها، إذ حملهم التكبر ودعتهم حمية الجاهلية إلى أن يفعلوا ما لا يعتقدونه ديناً بمنع المؤمنين من دخول المسجد الحرام^(xvii)، وهكذا يتضح أن (حمية الجاهلية) هي عصبية الجاهلية أي الجاهلية الاجتماعية.

وقد ورد مصطلح الجاهلية في القرآن الكريم على نسق (ظن الجاهلية، حكم الجاهلية، تبرج الجاهلية، حمية الجاهلية)، فكما أن هناك ظناً مختصاً بالجاهلية، يوجد كذلك حكم مختص بالجاهلية، وتبرج مختص بالجاهلية، وحمية مختصة بالجاهلية، فالجاهلية هنا لم تكن صفة للأشياء؛ وإنما جاءت معياراً تُقاس عليه الأشياء، فالجاهلية نظام ومنهج في الحياة يفترض أنماطاً معينة من السلوك والمواقف والعلاقات الإنسانية، والجاهلية ليست صفة لهذه الأنماط؛ وإنما منبع لها وقاعدة فكرية تنطلق منها، ولم ترد الجاهلية في هذه الآيات الكريمة منسوبة إلى قوم بعينهم، وإنما وردت عامة؛ لأنها منسوب إليها وليست منسوبة إلى شيء؛ لأنها منهج في الحياة، يقابل المنهج الإسلامي، فالحياة إما إسلامية وإما جاهلية^(xviii).

مما تقدم يتضح جلياً، إن الجاهلية وردت في القرآن الكريم بوصفها منظومة فكرية متكاملة، دينية (ظن الجاهلية/ الجاهلية الدينية) وسياسية (حكم الجاهلية/ الجاهلية السياسية)، وأخلاقية (تبرج الجاهلية/ الجاهلية الأخلاقية)، واجتماعية

(حمية الجاهلية/ الجاهلية الاجتماعية)، وأن أخطر أنواع الجاهليات هي الجاهلية الدينية؛ بعدها عبادة غير الله تعالى ثم الجاهلية السياسية؛ لأنها تحكم غير شرع الله تعالى كما أنها تنتج وتحافظ على ديمومة الجاهليات الأخرى.

ثانياً: مفهوم الجاهلية السياسية في السنة النبوية الشريفة

وردت الجاهلية السياسية في السنة النبوية الشريفة في حديث الرسول الكريم ﷺ:

«أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرِيْقَ دَمَهُ»^(xix)، والمراد بـ"مُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ" من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو اشاعتها أو تطبيقها^(xx)، لأن المفروض على المسلم أن يذكر الجاهلية وشعائرها في كراهية وامتناع؛ لأن الله تعالى قد ذمها وأبطلها، وأن يشكر الله تعالى على التخلص منها ومجئ الإسلام ونظامه بدلها^(xxi).

وسنة الجاهلية هي اسم جنس يشمل جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه ويعتقدونه من عادات وتقاليد وأعراف، أي ما جاء الإسلام بتركه^(xxii)، فسنة الجاهلية هي طريقته وعاداتها وأخلاق أهلها^(xxiii).

بمعنى أن سنة الجاهلية هي طريقة أهلها ومنهجهم، ومعنى (طلب سنتها) ليس فعلها فحسب بل إرادة ديمومة قواعد الجاهلية وتقاليدها وأعرافها، ونشرها وممارستها، وذلك يشمل جميع قواعد الجاهلية؛ لأن اسم الجنس المضاف عام، لهذا الفهم لم يقل الرسول الكريم ﷺ: (فاعلها) وإنما قال: (مبتغيها) أي طالبها ومريدها^(xxiv).

فالجاهلية في هذا الحديث النبوي الشريف - سنة الجاهلية - هو وصف للحال التي عليها فرد أو جماعة من اتصاف بقيم الجاهلية وسلوكياتها وأخلاقها وشرائعها، وتطبيقهم لهذه القيم في حياتهم وجعلها مصدراً لتشريعاتهم وقوانينهم وأخلاقهم^(xxv)، وهكذا يمكن أن تدخل الجاهلية السياسية ضمن سنة الجاهلية؛ لأن سنة الجاهلية تشمل الحكم والقوانين، وهذا هو التأسيس النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في السنة النبوية الشريفة.

وهكذا يتضح، إن الجاهلية السياسية أكثر ما تتجسد في صورة القوانين الوضعية وأساليب الحكم التي تحكم المسلمين في مختلف جوانب حياتهم، وتكون هذه القوانين والأساليب مخالفة للشريعة فكلها باطلة؛ لأن المسلمين ليس لديهم إلا حكم الشريعة الإسلامية ولا يجوز لهم أن يحكموا بغيره، فهذا يعد من مقتضيات العقيدة ولوازم الإيمان، وما حكم الجاهلية إلا نتيجة من نتائج فصل الدين عن الدولة في المجتمع المسلم، فأصبح حكم الجاهلية بمثابة دين جديد لا يجوز للمسلم أن يعتنقه^(xxvi).

المطلب الثاني: تنظير المفكرين السياسيين لمفهوم الجاهلية السياسية

في العصر الحديث والمعاصر أخذ المفكرون السياسيون ينظرون لمفهوم الجاهلية السياسية ويهتمون به ويبيّنونه؛ نظراً لكثرة مظاهرها وصورها في العالم الإسلامي بدءاً من الغاء الدولة العثمانية عام 1924 م وانتهاً بتطبيق الحكم العلماني، وابعاد الشريعة الإسلامية عن الحكم، وأول من نظر لهذا المفهوم (أبو الأعلا المودودي)، ثم تناولها (أبو الحسن الندوي)، ثم شرح المفهوم وفصله (سيد قطب)، بعد ذلك تناول المفهوم شرحاً وتنظيراً (محمد قطب)، وهكذا أصبح هناك اهتمام متزايد لمفهوم الجاهلية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر.

وكل المفكرين السياسيين الذين نظّروا لمفهوم الجاهلية السياسية في العصر الحديث والمعاصر استنبطوا مفاهيمهم ودلالاتهم للجاهلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفهما المصدران الأساسيان للفكر السياسي الإسلامي، وعلى الفكر السياسي الإسلامي أن لا يخالف هذه المرجعية.

والجاهلية السياسية وفقاً (لأبي الأعلا المودودي) هي أن تقوم السلطة والحكم على غير قواعد الإسلام، وقد بدأ هذا الأمر عند المسلمين في الانقلاب الذي حدث في العهد الأموي عندما تحولت الخلافة إلى ملك عضوض، وبوجود الجاهلية السياسية فإن أثرها يمتد ليشمل الجاهلية الاجتماعية والأخلاقية والدينية؛ لأن الإسلام بدون سلطة (دولة) لا يملك القوة الكافية لمقاومة الجاهلية، التي هي في صراع فكري وتاريخي مع الإسلام^(xxvii)، لأن الإسلام دعوة هدم وبناء، هدم للجاهلية بكل أنواعها (الدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية) وبناء للمجتمع على أسس الإسلام في نواحي الحياة كافة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية^(xxviii).

ويعتقد أن الجاهلية السياسية هي الجاهلية الصرفة والأخطر؛ لأنها تتوجه إلى الدولة والحكومة، ولهذا فإنها تنتج جاهليات أخرى، وفي الجاهلية السياسية تنتشر فلسفة الجاهلية وثقافتها^(xxix)، والجاهلية السياسية متعلقة بالسلطة، وأصل الألوهية وجوهرها يتمثل بالسلطة، إذ أن الإنسان يطيعها في حياته؛ لأن طاعتها واجبة، ولا يوجد سلطة وحاكمية سوى لله تعالى؛ لأنه هو خالق الكون ومدبره^(xxx)، فالنظرية السياسية في الإسلام تنبثق من العقيدة التي تقر بأن التشريع هو من اختصاص الله تعالى لا يشاركه فيه أحد، وليس للبشر حق في التشريع؛ لأن الحاكمية هي لله تعالى وحده^(xxxi).

وقد استخدم مفهوم (الجاهلية السياسية) للدلالة عن رفضه لأنظمة الحياة المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية، وبناءً على ذلك فإن الأنظمة والمجتمعات توصف بالجاهلية إذا تأسست على الأهواء والرغبات وليس على المنهج الرباني؛ لأن حاكمية الله تعالى لا تتحقق إذ تختلط بغيرها عندما يتم الحكم بمنهج غير منهج الله تعالى، وقد رفض الحضارة الغربية وفكرها؛ لأنها حضارة جاهلية^(xxxii).

ويعرف (أبو الحسن الندوي) مفهوم الجاهلية السياسية بأنه استغناء المسلمين - شعوباً وحكاماً - عن دين الإسلام وحكمه واستلهاهم القوانين والشرائع والدساتير الغربية أو الشرقية والحكم بها وسياسة الشعوب بموجبها، وعدم الرضا بالإسلام ديناً شاملاً ينظم مظاهر الحياة جميعاً، ولا بالرسول الكريم ﷺ قائداً ومشروعاً وإماماً في الدين والدنيا^(xxxiii)، أي أن الجاهلية السياسية هي الحكم بغير حكم الإسلام ورسوله الكريم ﷺ، ففي الجاهلية يتم استنباط الحكم من العقل المجرد، فالجاهلية تعطي للإنسان حرية مطلقة في استخدام عقله واتباع هوى نفسه^(xxxiv).

ويؤكد أن الرسول الكريم ﷺ هو موحد العرب، وهو من جعل منهم مركزاً للقيادة العالمية ومعقلاً للإنسانية وعنواناً للمجد وأساساً للحضارة، فالإسلام هو الذي أظهر العرب للوجود ووحدتهم وجعلهم كيانه متماسكاً بدولة عادلة؛ فقد كانوا وحدات مفككة وقبائل متناحرة وشعوباً مستعبدة، وطاقت بشرية ضائعة، وكانوا لا يخطر ببالهم أن يواجهوا الإمبراطورية الفارسية أو الرومانية، فأسسوا بالإسلام حضارة وثقافة وعلومًا ومعارفًا وأسقطوا الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، وبنوا دولة حكموا بها العالم، فمتى ما استغنوا عن حكم الإسلام عادوا إلى جاهليتهم الأولى وذهب مجدهم وحضارتهم^(xxxv).

أما (سيد قطب) فيرى أن الجاهلية السياسية هي الانحراف عن العبودية لله تعالى وعن المنهج الإلهي في الحياة، واستنباط النظم والشرائع والقوانين والعادات والتقاليد والقيم والموازين من مصدر آخر غير المصدر الإلهي^(xxxvi)، من

خلال خلو قلوب الناس من عقيدة إلهية تحكم تصوراتهم، ومن شريعة منبثقة من هذه العقيدة تحكم حياتهم^(xxxvii)، لأن القرآن الكريم يبين أن كل حكم لا يوافق الشريعة الإسلامية فهو حكم جاهلي بغض النظر عن الزمان والمكان؛ لأنه لم يُنَّ على أسس شرعية (سماوية)^(xxxviii).

إذ يأخذ البشر عن البشر: التصورات والمبادئ، والموازن والقيم، والشرائع والقوانين، والأنظمة والتقاليد، وهذه هي الجاهلية بكل مقوماتها^(xxxix)، فالناس إما أنهم يحكمون بشريعة الله تعالى، فهم في دين الله تعالى، وإما يحكمون بشريعة بشرية فهم في جاهلية وفي دين من يحكمون بشريعته، ومن البدهي أن الذي لا يريد حكم الله تعالى يريد حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله تعالى يقبل بشريعة الجاهلية^(xl).

فالجاهلية السياسية لا تدين بالعبودية لله تعالى في نظام حياتها؛ فهي تعطي أهم خصائص الألوهية لغير الله تعالى؛ فتؤمن بحاكمية غير الله تعالى، فتأخذ من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها وقيمها، وموازنها وعاداتها وتقاليدها، وكل نظم حياتها^(xli)، وهذا يعد اعتداءً على سلطان الله تعالى في الأرض؛ لأنه يسند الحاكمية إلى البشر، من خلال إعطاء حق وضع التصورات والقيم، والشرائع والقوانين، والأنظمة والموازن بمعزل عن منهج الله تعالى في الحياة فينشأ الظلم وينعدم العدل^(xlii).

وبوضح أن الجاهلية هي حالة - وليست فترة تاريخية مضت وانتهت - توجد كلما وجدت مقوماتها في وضع أو نظام في أي زمان ومكان، وهي في جوهرها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله تعالى وشريعته^(xliii). فالجاهلية هي منهج الحياة الذي لم يشرعه الله تعالى وهي شاملة في (الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع والاقتصاد)^(xliv).

فقد تتغير أشكال الجاهلية لكن جوهرها واحد - وإن كان لكل جاهلية مفاهيمها وأنظمتها - هو التلقي من غير الله تعالى في أي شأن من شؤون الحياة لهذا فإن طبيعة الجاهلية واحدة، فالمعيار في كل الجاهليات أنها تستمد شريعته وأنظمتها ومفاهيمها من غير شريعة الله تعالى، أي من العقل البشري المجرد الذي لا يصلح وحده أن يكون مشرعاً ما لم ينضبط بميزان العقيدة الصحيحة^(xlv).

ويعرف (محمد قطب) مفهوم الجاهلية السياسية بأنه حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله تعالى ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله تعالى، فالجاهلية السياسية هي رفض الحكم بما أنزل الله تعالى، وبهذا المعنى فإن الجاهلية السياسية مقابلة لحكم الشريعة^(xlv)، والجاهلية السياسية وهي لا تحكم بما أنزل الله تعالى في شرعه فليس أمامها إلا منهج واحد هو أن تحكم بالطاغوت؛ لأن السلطة سلطتان: سلطة الله تعالى وسلطة الطاغوت، والجاهلية السياسية لا تخضع لسلطة الله تعالى فهي خاضعة لسلطة الطاغوت^(xlvii)، والطاغوت هو كل سلطة لا تعترف بحكم الله تعالى وتتمرد عليه لتطبق حكمها، فالاستسلام لهذا الطاغوت وطاعته يعد عبادة له^(xlviii).

فأهل الجاهلية السياسية يتركون حكم الله تعالى وهو حكم الحق والعدل ويتحاكمون إلى الطاغوت وهو حكم الباطل والظلم، والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله تعالى^(xlix)، وكل من خضع لغير الله تعالى وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطاغوت وأنقاد له^(l)، بينما قيمة الحكم في الفكر السياسي الإسلامي تتجلى في كونه وسيلة لتحكيم منهج الله تعالى وتحقيق العدل بين الناس، وإبعاد الظلم والجور عنهم^(li).

ويرى أن الجاهلية السياسية هي حالة تمرد من جانبيين، الأول: أنها تمرد على حق الله تعالى في التشريع؛ بوصفه خالق البشر ورازقهم ومسخر ما في السموات والأرض لهم أي أنه صاحب الخلق والأمر، وهو الأولى بوضع تشريع لهم يحكمهم وينظم أمورهم، والثاني: أنها تمرد على حكمة الله تعالى وخبرته؛ لأنه خلق الإنسان وهو أعلم بحاله وطبيعته ويعلم ما يصلح له وما يضره، ومحيط بالزمن كله - الماضي والحاضر والمستقبل - وبالنتيجة يكون كل تشريع من التشريعات الإلهية مناسباً لكل إنسان، في كل زمان ومكان^(lii).

ويؤكد أن الجاهلية هي ظاهرة عامة تشمل كل نواحي الحياة (التصور والسلوك، والعلم والمعرفة، والسياسة والاقتصاد، والاجتماع، والنفوس، والأخلاق والآداب، والفن)؛ لأن الجاهلية هي حالة - وليست فترة زمنية - يمكن أن توجد في أي زمان ومكان وإنسان، كما توجد بغض النظر عن التقدم العلمي والحضاري والقيم الفكرية والسياسية والاجتماعية إذا كانت هذه كلها لا تهتدي بالهدي الرباني وترفض الحكم بما أنزل الله تعالى^(liii).

فالجاهلية هي حالة موضوعية - وليست فترة تاريخية - أي وصف يمكن أن يلحق أية فترة زمنية لا تحكم بمنهج الله تعالى، وحقائق الجاهلية تكمن في كونها ظاهرة اجتماعية إنسانية يمكن أن تتخذ صوراً ومظاهراً شتى لكنها تجتمع في عدم اتباع حكم الله تعالى، بهذا المعنى فإن الجاهلية هي فكرة ومضمون لا تتحدد بزمان أو مكان أو إنسان، فكما وجدت قبل ظهور الإسلام يمكن أن توجد فيه، كما ظهرت في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية الشريفة فإنها تتعداها إلى غيرها، فضلاً عن كونها وصف للإنسان أو لمجتمع بغض النظر عن مستواه الاجتماعي والثقافي والعلمي ودرجة تحضره^(liv).

كما أن الجاهلية السياسية منهج متكامل له تصور عن الإنسان والكون والحياة يخالف فيها تصور المنهج الإسلامي إلى هذه العناصر الأساسية الثلاثة، والجاهلية كما ذكرها القرآن الكريم ليس لها علاقة بدلالة قبل الإسلام وفيه؛ فهي منهج خالٍ من التوجيه الإلهي وقابل للتكرار في أي زمان ومكان إذا توافرت شروطه^(lv)، فالأصل في الجاهلية السياسية هو البعد عن هدي الإسلام وشريعته، وتحكيم غيرها من الشرائع الأخرى التي مهما تعددت وتنوعت فإنها تشترك في كونها جاهلية^(lvi).

ففي الجاهلية يتم إبعاد الإسلام عن إدارة شؤون الحياة، وتحكيم غير شرع الله تعالى، وهكذا يُبعد الإسلام عن الحكم والسياسة ليحل حكم الجاهلية محله، وهذا خروج على ثوابت الإسلام ومبادئه؛ لأن أعظم مقومات الإسلام هي العمل بأحكامه، فالإسلام جاء لتُعرف أحكامه وتُقام شريعته وشعائره، فمن رفض تطبيق الشريعة الإسلامية أو عطّلها فقد رفض الإسلام وعطله، وحكم بالجاهلية^(lvii).

وبهذا المعنى فإن (العلمانية) تعد مفهوماً جاهلياً في الفكر السياسي الإسلامي، وتندرج ضمن الجاهلية السياسية؛ لأنها تعني عزل الدين عن السياسة وعن الحياة كلها، بينما دين الإسلام جاء شاملاً منظماً للحياة بكل أوجهها (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإبعاد الشريعة الإسلامية عن شؤون الحياة وعن الحكم إنما يعني تحكيم الجاهلية ورفض الشريعة الإسلامية، لهذا تدخل (العلمانية) ضمن حكم الجاهلية^(lviii).

الخاتمة

ينبع التأصيل النظري لمفهوم الجاهلية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفهما المصدران الأساسيان للفكر السياسي الإسلامي، فيرد مفهوم الجاهلية السياسية في القرآن الكريم متمثلاً بـ (حكم الجاهلية)، إذ يقول الله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ، فيفسر حكم الجاهلية بأنه

كل من حكم وخرج عن حكم الله تعالى المُحكم العادل، المشتغل على كل خير الناهي عن كل شر، إلى ما سواه من الضلالات والجهالات والاصطلاحات التي يضعها الناس بآرائهم وأهوائهم دون رجوع لحكم الله تعالى.

ويرد مفهوم الجاهلية السياسية في السنة النبوية الشريفة متمثلاً بـ (سنة الجاهلية)، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحَدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلَّبٌ دَمَ امْرِئٍ بَغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرِيْقَ دَمَهُ»، فسنة الجاهلية اسم جنس يشمل جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه ويعتقدونه من عادات وتقاليده وأعراف، أي ما جاء الإسلام بتركه، بمعنى وصف للحال التي عليها فرد أو جماعة من اتصاف بقيم الجاهلية وسلوكياتها وأخلاقها وشرائعها، وتطبيقهم هذه القيم في حياتهم وجعلها مصدراً لتشريعاتهم وقوانينهم وأخلاقهم.

أما المفكرون السياسيون فقد نظروا لمفهوم الجاهلية السياسية في كتبهم انطلاقاً من مفهومها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بدءاً بـ (أبو الأعلام المودودي، أبو الحسن الندوي، سيد قطب، محمد قطب)، وحددوا مفهوم الجاهلية السياسية بأنه حالة نفسية ترفض الاهتمام بهدي الله تعالى ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله تعالى، فالجاهلية السياسية هي رفض الحكم بما أنزل الله تعالى، وبهذا المعنى فإن الجاهلية السياسية مقابلة لحكم الشريعة، فلا يوجد في الدنيا سوى حكمان: حكم الله تعالى، وحكم الجاهلية.

الهوامش

(i) مهدي حارث مالك الغانمي، الجاهلية في القرآن الكريم: قراءة في الدلالة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية التربية، جامعة القادسية، العدد 1، 2010، ص 64.

(ii) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج 4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 136.

(iii) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ج 26، مصدر سابق، ص 194.

(iv) سورة آل عمران، الآية رقم (154).

(v) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 7، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000، ص 320.

(vi) سورة المائدة، الآية رقم (50).

(vii) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ج 10، مصدر سابق، ص 394.

(viii) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964، ص ص 215-216.

(ix) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ج 3، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ص 119.

(x) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ج 6، مصدر سابق، ص 187.

(xi) محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1987، ص 641.

(xii) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج 6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص 349.

- (xiii) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 1، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000، ص 234.
- (xiv) سورة الأحزاب، الآية رقم (33).
- (xv) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ج 20، مصدر سابق، ص ص 361-362.
- (xvi) سورة الفتح، الآية رقم (26).
- (xvii) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ج 16، مصدر سابق، ص ص 283، 289.
- (xviii) محمد مهدي شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، المؤسسة الدولية، بيروت، ط 4، 1995، ص ص 245-246.
- (xix) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الحديث رقم (6882).
- (xx) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 12، ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1959، ص 211.
- (xxi) أبو الحسن علي الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مكتب السراوي، القاهرة، والمكتبة المكية، مكة المكرمة، ط 2، 1992، ص ص 15-16.
- (xxii) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ج 12، مصدر سابق، ص 211.
- (xxiii) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ج 9، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط 1، 2001، ص 6.
- (xxiv) محمد بن يوسف بن علي الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج 24، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1981، ص 14.
- (xxv) هشام أحمد عوض، الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1، 1995، ص 338.
- (xxvi) أحمد محمد شاكر، حكم الجاهلية، مكتبة السنة، القاهرة، 1994، ص ص 29، 35، 37.
- (xxvii) أبو الأعلام المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وحياته، ترجمة محمد كاظم سباق، دار الفكر الحديث، بيروت، ط 2، 1967، ص ص 16، 44.
- (xxviii) فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.، ص 39.
- (xxix) المصدر نفسه، ص 46.
- (xxx) أبو الأعلام المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، الإله- الرب- العباد- الدين، ترجمة محمد كاظم سباق، دار القلم، الكويت، ط 5، 1971، ص ص 23.
- (xxxi) أبو الأعلام المودودي، نظرية الإسلام السياسية، دار الفكر، دمشق، 1967، ص ص 26-27.
- (xxxii) عبد الغني عماد، الحركات الإسلامية في لبنان - إشكالية الدين والسياسة في مجتمع متنوع -، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2006، ص 276.
- (xxxiii) أبو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الجيل، بيروت، د.ت.، ص ص 395-396.
- (xxxiv) أبو الحسن علي الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، ط 4، 1979، ص 127.
- (xxxv) أبو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مصدر سابق، ص ص 394-395.
- (xxxvi) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط 6، 1979، ص 149.
- (xxxvii) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، دار الشروق، القاهرة، ط 7، 1991، ص 510.
- (xxxviii) جواد كاظم منشد، الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، كلية التربية، جامعة البصرة، العدد 1، 2006، ص 19.
- (xxxix) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، مصدر سابق، ص 557.

- (xi) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، مصدر سابق، ص 904.
- (xii) سيد قطب، معالم في الطريق، مصدر سابق، ص ص 88-92.
- (xiii) المصدر نفسه، ص 8.
- (xliii) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، مصدر سابق، ص 891.
- (xliv) المصدر نفسه، ص 844.
- (xlv) المصدر نفسه، ص 990.
- (xlii) محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، القاهرة، ط 12، 1992، ص ص 7، 12.
- (xlvii) المصدر نفسه، ص 104.
- (xlviii) أبو الأعلام المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، الإله- الرب- العباد- الدين، مصدر سابق، ص 101.
- (xlix) مرتضى عبد النبي علي وأحمد عبد الله فرح، مصطلح الجاهلية بين التأويل اللغوي والاستعمال القرآني، دواة، دار اللغة والأدب العربي، العتبة الحسينية، العدد 3، 2015، ص 109.
- (i) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أفحكم الجاهلية يبغون؟ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، دار طيبة، الرياض، ط 1، 2002، ص 6.
- (ii) ناصر يوسف عبد الله، مقاييس القيم في القرآن الكريم والإسلام، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة تكريت، العدد 17، 2013، ص ص 96، 100.
- (iii) محمد قطب، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، مكتبة السنة، الرياض، ط 1، 1991، ص 38.
- (liii) محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، مصدر سابق، ص ص 8-9، 15.
- (liv) هشام أحمد عوض، مصدر سابق، ص 239.
- (lv) مهدي حارث مالك الغانمي، مصدر سابق، ص 63.
- (lvi) زامل ليلي تمن، جاهلية القرن الحادي والعشرين انحدار في القيم وهمجية في السلوك، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 120، 2017، ص 301.
- (lvii) عبد القادر عودة، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، ط 5، 1985، ص ص 7، 69-70.
- (lviii) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، العلمانية وموقف الإسلام منها، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2001، ص 336.